٥- الهجرة المباركة من مكة إلى المدينة

هجرة الصحابة رضي الله عنهم إلى المدينة

قال ابن عبد البر رحمه الله ما ملخصه: فلما تمت بيعة هؤلاء لرسول الله ﷺ ليلة العقبة وكانت سرًا على كفار قومهم وكفار قريش. أمر رسول الله ﷺ من كان معه من المسلمين بالهجرة إلى المدينة أرسالًا. فقيل أول من خرج أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي، وحبست عنه امرأته أم سلمة بنت أبي أمية بمكة نحو سنة، ثم أذن لها في اللحاق بزوجها فانطلقت مهاجرة، وشيعها عثمان بن طلحة، وهو كافر إلى المدينة، ونزل أبو سلمة في قباء.

ثم عامر بن ربيعة حليف بني عُدي بن كعب معه امرأته ليلى بنت أبي حثمة بن غانم، وهي أول ظعينة دخلت من المهاجرات إلى المدينة. ثم عبد الله بن جحش وأخوه أبو أحمد بن جحش الشاعر الأعمى، وأمها وأم إخوتها أميمة بنت عبد المطلب، وهاجر جميع بني جحش بنسائهم فعدا أبو سفيان بن حرب على دارهم فتملكها إذ خلت منهم، وكانت الفارعة بنت أبي سفيان بن حرب تحت أبي أحمد بن جحش، فنزل هؤلاء الأربعة بقباء.

وذكر جماعة إلى أن قال: ثم خرج عمر بن الخطاب وعياش بن أبي ربيعة في عشرين راكبًا فقدموا المدينة، فنزلوا في العوالي في بني أمية بن زيد، وكان يصلي بهم سالم. وواعد عمر بن الخطاب أن يهاجر معه وقال: تجدني أو أجدك عند أضاة بني غفار، ففطن لهشام قومه فحبسوه عن الهجرة، ثم إن أبا جهل والحارث بن هشام أتيا المدينة، فكلما عياش ابن أبي ربيعة وكان أخاهما لأمهما وابن عمهما، وأخبراه أن أمه قد نذرت أن لا تغسل رأسها ولا تستظل حتى تراه، فرقت نفسه وصدقهما، وخرج راجعًا معهما فكتفاه في الطريق وبلغاه مكة فحبساه بها مسجونًا إلى أن خلَّصه الله بعد ذلك بدعاء رسول الله ﷺ له في قنوت الصلاة: «**اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش ابن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف**»، ثم استنقذ الله عياش بن أبي ربيعة وسائرهم وهاجر إلى المدينة.

ثم قدم طلحة بن عبيد الله فنزل هو وصهيب بن سنان على خبيب بن إساف في بني الحارث بن الخزرج، ويقال: بل نزل طلحة على أبي أمامة أسعد بن زرارة وكان صهيب ذا مال فاتبعته قريش ليقتلوه ويأخذوا ماله، فلما أشرفوا عليه ونظر منهم ونظروا إليه قال لهم: قد تعلمون أني من أرماكم رجلًا، ووالله لاتصلون إلي أو يموت منكم من شاء الله أن يموت قالوا: فاترك مالك وانهض، قال: مالي خلفته بمكة وأنا أعطيكم أمارة فتأخذونه فعلموا صدقة وانصرفوا عنه إلى مكة بما أعطاهم من الأمارة فأخذوا ماله، فنزلت فيه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾

[البقرة: ٢٠٧]

ونزلت عثمان بن عفان على أوس بن ثابت أخي حسان بن ثابت في بني النجار ونزل العُزاب على سعد بن خيثمة وكان عزبًا. ولم يبق بمكة أحد من المسلمين إلا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعلي أقامًا مع رسول الله ﷺ بأمره، وحبس قوم كرهًا، حبسهم قومهم، فكتب لهم أجر المهاجرين بما كانوا عليه من حرصهم على الهجرة[1].

قال الغزالي: وهكذا أخذ المهاجرون يتركون مكة زرافات ووحدانًا حتى كادت مكة تخلو من المسلمين، وشعرت قريش بأن الإسلام أضحت له دار يأرز إليها، وحصن يحتمي به، وتوجست خيفة من هذه المرحلة الخطيرة في دعوة محمد ﷺ، وهاجت في دمائها غرائز السبع المفترس حين يخاف على حياته.

إن محمدًا ﷺ لا يزال في مكة لابد مدرك أصحابة اليوم أو غدًا فلنعجل به قبل أن يستدير إليها[2].

---

(١) باختصار من «الدرر في اختصار المغازي»، و«السير» لابن عبد البر (٧٥، ٧٩) بتحقيق د.شوقي ضيف، ط.دار المعارف.

(٢) «فقه السيرة» (١٦٨، ١٦٩).

الفوائد والآثار الإيمانية:

١- **قال الأستاذ محمد سعيد رمضان:** كانت فتنة المسلمين من أصحاب النبي ﷺ في مكة فتنة الإيذاء والتعذيب وما يرونه من المشركين من ألوان الهزء والسخرية، فلما أذن لهم الرسول ﷺ بالهجرة أصبحت فتنتهم في ترك وطنهم وأموالهم ودورهم وأمتعتهم. ولقد كانوا أوفياء لدينهم مخلصين لربهم، أمام الفتنة الأولى والثانية قابلوا المحن والشدائد بصبر ثابت وعزم عنيد، حتى إذا أشار لهم الرسول ﷺ بالهجرة إلى المدينة توجهوا إليها وقد تركوا من ورائهم الوطن وما لهم فيه من مال ومتاع ونسب، ذلك أنهم خرجوا مستخفين متسللين، ولا يتم ذلك إلا إذا تخلصوا من الأمتعة والأثقال، فتركوا كل ذلك في مكة ليسلم لهم الدين، واستعاضوا عنه بالإخوة الذين ينتظرونهم في المدينة ليؤوهم وينصروهم[(١)].

٢- **وقال الأستاذ محب الدين الخطيب** رحمه الله: إن النفس الإسلامية يريد لها الإسلام أن تعيش في جو من النظام والحكم يسهل لها فهم هداية الإسلام، ويحبب إليها العمل بهذه الهداية في كل ضرب من ضروب الحياة، وتتوفر فيه حرية الدعوة إلى كل ما ينشده الإسلام من حقيقة وخير فيسير القيام بهما جِهارًا في جميع أحوال الفرد المسلم والجماعة الإسلامية، ويكون فيه للحق قوة تقمع كل من يصد عن ذلك أو يحول بين المسلمين وبين الدعوة إلى هدايتهم والعمل بها في بيوتهم وأسواقهم وأنديتهم ومجتمعاتهم فإذا نشأت النفس الإسلامية ونمت تحت جناح نظام يقيم أحكام الإسلام ويحمي دعوته ويحمل الأمة على آدابه، كانت هذه النفس قوة للإسلام تعمل على رفعته وتوسيع دائرته، وتثمر في جناته، أما إذا نشأت ونمت تحت جناح نظام يخالف الإسلام، ويخذل دعوته، ولا يربي الأمة على آدابه، فإن قوتها تكون مُعطلة عن تأييد الإسلام وتعميم هدايته[(٢)].

---

(١) «فقه السيرة» [١٣٧].

(٢) «من إلهامات الهجرة» (٨، ٩) المطبعة السلفية ومكتبتها.

٣- ***وقال الشيخ عبد العزيز بن راشد النجدي ما ملخصه:*** في هجرة الرسول ﷺ وغيره فوائد كثيرة وعبراً لمن تأملها نشير إلى جمل منها ليقتدي بهم المؤمن إذا أصابه من الظلمة كالذي أصاب أهل هذه الهجرة متى وجد طريقًا ومناصًا إلى أرضٍ ينجو بدينه فيها، ويوالي الدعوة إلى الله.

الأولى- أن النبي ﷺ لم يخرج من بين قومه حتى همُّوا بقتله منعًا له من الدعوة إلى الحق كما أوصلوا إليه ما لا يحتمله من الأذى غيره، وفي هذا عبرة لمن دعا إلى دينه.

الثانية- أن أصحابه رضي الله عنهم هاجروا قبله إلى الحبشة والمدينة عندما ضعفوا عن احتمال الأذى مع البقاء على الدعوة إلى دينهم بمكة إلا القليل منهم ممن له منعة تحميه بينهم، فقد بقى معه بها لمحبته إياه، وقوته على الجهاد، وإقامة الحجة على أهل الفساد، والدفاع عن أهل الحق من المستضعفين وغيرهم، فمن كان هكذا فالأولى به أن لا ينتقل من بين الظلمة ما صبر على أذاهم.

الثالثة- أن الإيمان الصحيح بالله وكتابه ورسوله إذا دخل القلوب وأشربته النفس عن علمٍ وفهم لابد أن يؤتي أكله وثمراته من العمل الظاهري والجهاد بالنفس والمال.

الرابعة- كالشرح لما قبله أنهم فارقوا قومهم مفضلين ما بلغهم عن الله ورسوله ﷺ ، ومؤثرين الحق مع ما فيه من مرارة على أعز شيءٍ لديهم من مال وولد وأهل وعشيرة ووطن.

الخامسة- أنه لم يمنعهم من الهجرة لدواعيها قلة المال، ولا تعللوا بالعيال والأحبة، وما نشأوا عليه من الدعة والمكاسب التي كانوا ينالونها بمكة بأهون الأسباب، لعلمهم أن كل هذا بل وجميع مُتع الدنيا لا يوازي ما أعده الله لهم على هجرتهم إليه، كما فهموا أن من ترك شيئًا عوض خيرًا منه دنيا وأخرى، كما حصل وصدقه الواقع.

السادسة- أنهم لم يرضوا بالذلة والخنوع تحت من لا يدين بدينهم ولا يرضى به حكمًا يحصلوا على قوة عدوهم أو قريب منهم تاركين ما يملكون وراء ظهورهم من غير

أسلحة تُذكر، معتمدين على الله مع أخذهم بالأسباب التي استطاعوا ويستطيعونها، كالتسلل، والمكر، وإخفاء أمرهم عن عدوهم، وجمع كلمتهم، واتحاد صفوفهم، والعمل مستقبلًا على إيجاد القوة والمنعة من كل عدوٍ لهم، وبهذا وتأييد ربهم فتحوا البلاد النائية، فاستعرض أيها المؤمن صفات المسلمين الذين نسج عليهم نير الاستعباد والاستعمار، وخيم عليهم كابوس الظلمة وقبل اليوم تجدهم على ضد صفات من ذكرنا[١].

٤ - وقال الغزالي: ليست الهجرة انتقال موظف من بلد قريب إلى بلد ناء، ولا ارتحال طالب قوت من أرض مجدبة إلى أرض مخصبة. إنها إكراه رجل آمن في سربه، ممتد الجذور في مكانه على إهدار مصالحة وتضحية أمواله والنجاة بشخصه فحسب، واشعاره وهو يصفى مركزه بأنه مستباح منهوب، قد يهلك في أوائل الطريق أو نهايتها، وهذه لا يطيقها إلا مؤمن، أما الخوار القلق فما يستطيع شيئًا من ذلك، إنه من أولئك الذين قال الله فيهم: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ [النساء: ٦٦].

أما الرجال الذين التقوا بمحمد ﷺ في مكة وقبسوا منه أنوار الهدى وتواصوا بالحق والصبر فإنهم نفروا خِفافًا ساعة قيل لهم هاجروا إلى حيث تعزّون الإسلام وتؤمِّنون مستقبله ونظر المشركون فإذا ديار بمكة كانت عامرة بأهلها قد أقفرت ومحال مؤنسة قد أمحلت[٢].

(١) «أصول السيرة المحمدية» (٧١، ٧٣) باختصار.

(٢) «فقه السيرة» (١٦٦، ١٦٧) باختصار.

هجرة النبي ﷺ وصاحبه رضي الله عنه

قال ابن إسحاق: وأقام رسول الله ﷺ بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن في الهجرة، ولم يتخلف معه بمكة أحد من المهاجرين إلا من حبس أو فتن إلا علي بن أبي طالب، وأبو بكر بن أبي قُحافة الصديق رضي الله عنهما، وكان أبو بكر كثيرًا ما يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة فيقول له رسول الله ﷺ: «**لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبًا**» فيطمع أبو بكر أن يكونه.

قال الغزالي: واجتمع طواغيت مكة في دار الندوة ليتخذوا قرارًا حاسمًا في هذا الأمر فرأى بعضهم أن توضع القيود في يد محمد ﷺ ويُشَدُّ وثاقه ويرمي به في السجن لا يصله منهم إلا الطعام ويترك على ذلك حتى يموت، ورأى آخر أن ينفى من مكة فلا يدخلها وتنفض قريش يديها من أمره، وقد استبعد هذان الاقتراحان لعدم جدواهما، واستقر الرأي على الاقتراح الذي أبداه «ابو جهل» قال أبو جهل: أرى أن تأخذوا من كل بطن من قريش شابًا نسيبًا وسطًا فتيًا، ثم نعطي كل فتى سيفًا صارمًا، ثم يضربونه جميعًا ضربة رجل واحد، فإذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها، ولا أظن أن بني هاشم يقوون على قريش كافة، فإذا لم يبق أمامهم إلا الدية أديناها.

ورضى المؤتمرون بهذا الحل للمشكلة التى حيرتهم، وانصرفوا ليقوموا على إنفاذه، وقد أشار القرآن إلى تدبير هذه الجريمة بقوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠][1].

وهذا حديث هجرة النبي ﷺ كما روته عائشة رضي الله عنها وساقه البخاري في أصح كتب السنة وبعد أن ذكرت قصة جوار ابن الدغنة لأبي بكر، ورده رضي الله عنه جواره قالت: «والنبي ﷺ يومئذ بمكة فقال النبي ﷺ للمسلمين: «إني

(١) «سيرة ابن هشام» مع «الروض الأنف» (٢/ ٢٢١).

أريت دار هجرتكم، ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان»، فهاجر من هاجر قبل المدينة، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة، وتجهز أبو بكر قبل المدينة فقال له رسول الله ﷺ: «**على رسلك فإني أرجو أن يؤذن**». فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: «**نعم**». فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه(١).

وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر - وهو الخبط - أربعة أشهر.

قال ابن شهاب: قال عروة: قالت عائشة: بينما نحن يومًا جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنعًا في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فداءً له أبي وأمي والله ما جاء في هذه الساعة إلا أمر. قالت: فجاء رسول الله ﷺ فأستأذن فأذن له، فدخل، فقال النبي ﷺ لأبي بكر: «**أخرج من عندك**» فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله قال: «**فإني قد أذن لي في الخروج**».

فقال أبو بكر: الصحابة بأبي أنت يا رسول الله. قال رسول الله ﷺ: «نعم» قال أبو بكر: فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتى هاتين: قال رسول الله ﷺ: «**بالثمن**». قالت عائشة: فجهزناهما أحسن الجهاز وصنعنا لهما سفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاق.

قالت: لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثور، فكمنا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبدالله بن أبي بكر، وهو غلام شاب ثقف لقن، فيدلج من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش بمكة كبائت فلا يسمع شيئًا يكتادان فيه إلا وعاه، حتى

(١) «فقه السيرة» [١٦٩] وهو باختصار، من «سيرة ابن هشام» مع «الروض الأنف» (٢/ ٢٢١، ٢٢٣).

يأتيهما بخبر ذلك، حتى يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فُهيرة مولي أبو بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل -وهو لبن منحتهما ورضيفهما- حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بغلس، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلًا من الديل وهو من بني عبد بن عدي هاديًا خريتًا، والخريت الماهر بالهداية، قد غمس حلفًا في آل العاص بن وائل السهمي، وهو على دين كفار قريش فأمناه، فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال صبح ثلاث، وانطلق معهما عامر ابن فهيرة والدليل فأخذ بهم طريق السواحل[1].

ثم روى البخارى بسنده عن ابن شهاب قال: وأخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن أخي سراقة بن مالك بن جُعْشُم أن أباه أخبره أنه سمع سراقة بن جعشم يقول: جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر دية كل واحد منهما

---

(١) رواه البخاري (٧/ ٢٧٢، ٢٧٣) مناقب الأنصار. قال الحافظ: «بين لابتين وهما الحرتان» هذا مدرج في الخبر وهو من تفسير الزهري، والحرة أرض حجارتها سود وهذه الرؤيا غير الرؤيا السابقة أول الباب اهـ. وهو ما رواه البخاري عن أبي موسى عن النبي ﷺ، «رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، فذهب وهلى إلى أنها اليمامة أو هجر فإذا هي المدينة يثرب». ذكره البخاري هنا تعليقًا مجزومًا به (٧/ ٢٦٧) مناقب الأنصار: باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة.

قوله: «**نحر الظهيرة**» أي أول الزوال وهو أشد ما يكون في حرارة النهار.

قوله: «**هذا رسول الله متقنعًا**» أي مغطيًا رأسه.

قوله: «**إنما هم أهلك**» أشار بذلك إلى عائشة وأسماء. قوله: «الصحابة» أي أريد المصاحبة.

قوله: «**بالثمن**» قال السهيلي في الروض عن بعض شيوخ المغرب: أنه سئل عن امتناعه من أخذ الراحلة مع أن أبا أبكر أنفق عليه ماله فقال: أحب أن لا تكون هجرته إلا من مال نفسه.

قوله: «**وضعنا له سفرة في جراب**» أي زادًا في جراب.

قوله: «**فيدلج**» أي يخرج بسحر إلى مكة. قوله: «في رسل» اللبن الطري.

قوله: «**والخريت الماهر بالهداية**» هو مدرج في الخبر من كلام الزهري.

قوله: «**قد غمس حلفًا**» أي كان حليفًا وكانوا إذا تحالفوا غمسوا أيديهم في دم أو خلوق أو في شئ يكون فيه تلويث فيكون ذلك تأكيدًا للحلف.

لمن قتله أو أسره، فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج، إذ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال: يا سراقة، إني رأيت أسودة بالساحل، أراها محمدًا وأصحابه، قال سراقة: فعرفت أنهم هم، فقلت لهم: إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلانًا وفلانًا انطلقوا بأعيننا، ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي وهي من وراء أكمة فتحبسها على وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجةِّ الأرض وخفضت عالية، حتى أتيت فرسي فركبتها فرفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم، فعثرت بي فرسي فخررت عنها فقمت فأهويت يدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزلام، فاستقسمت بها أضرهم أم لا؟ فخرج الذي أكره فركبت فرسي وعصيت الأزلام تقرب بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يد فرسي في الأرض حتى بلغتنا الركبتين، فخررت عنها، ثم زجرتها فنهضت، فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة، إذا لأثر يديها عُثان ساطع في السماء مثل الدخان، فاستقسمت بالأزلام فخرج الذي أكره، فناديتهم بالأمان فوقفوا بالأمان، فركبت فرسي حتى جئتهم، ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ، فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآني، ولم يسألاني، إلا أن قال: أخف عنا، فسألته أن يكتب لي كتاب أمن، فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أدم ثم مضى رسول الله ﷺ (١).

---

(١) سيأتي تخريج الحديث.

قال الحافظ: قوله: «**رأيت آنفًا**» في هذه الساعة. «أسودة» أي أشخاصًا.

قوله: «**وخفضت**» أي أمسكه بيده وجرَّ زجه على الأرض فخطها بها، لئلا يظهر بريقه لمن بعد منه، لأنه كره أن يتبعه منهم أحد فيشركوه في الجعالة.

قوله: «**تقرب بي**» التقرب السير دون العدو وفوق العادة.

قوله: «**الأزلام**» هي الأقداح، وهي السهام التي لا ريش لها ولا نصل.

قوله: «**فخرج الذي أكره**» أي لا تضرهم.

قال ابن شهاب: فأخبرني عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارًا قافلين من الشام فكسا الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياب بياض، وسمع المسلمون بالمدينة مخرج رسول الله ﷺ من مكة فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه، حتى يردهم حر الظهيرة، فانقلبوا يومًا بعدما أطالوا انتظارهم فلما أووا إلى بيوتهم أوفى رجل من يهود إلى أطم من آطامهم لأمر ينظر إليه، فبصر رسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: «**يا معشر العرب، هذا جدكم الذي تنتظرون**»، فثار المسلمون إلى السلاح، فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول فقام أبو بكر للناس، وجلس رسول الله ﷺ صامتًا، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله ﷺ يحيى أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة، وأسس المسجد الذي أسس على التقوى، وصلى فيه رسول الله ﷺ ثم ركب راحلته فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول ﷺ بالمدينة، وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين، وكان مربدًا للتمر لسهيل وسهل - غلامين يتيمين في

=قوله: «**فدعا عليه النبي** ﷺ» وفي رواية خليفة في حديث البراء عند الإسماعيلي «فقال: **اللهم اكفناه بما شئت**». وفي حديث أنس وهو الثامن عشر من أحاديث الباب: فالتفت النبي ﷺ فقال: «**اللهم اصرعه**» فصرعه فرسه.

قوله: «**ساخت**» أي غاصت.

قوله: «**عثان**» أي دخان، وقيل: دخان بغير نار، قيل: غبار.

قوله: «**فناديتهم بالأمان**» وفي رواية أبي خليفة: «قد علمت يا محمد أن هذا عملك، فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه، والله لأعمين عليك من ورائي» أي الطلب.

قوله: «**فلم يرزآني**» أي لم ينقصاني مما معي شيئًا باختصار وتصرف من «الفتح» (٧/ ٢٨٣، ٢٨٥).

حِجر سعد بن زرارة - فقال رسول الله ﷺ حين بركت راحلته: «**هذا إن شاء الله المنزل**»، ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدًا، فقالا: لا، بل نهبه لك يا رسول الله، فأبى رسول الله ﷺ أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما، ثم بناه مسجدًا، وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن في بنيانه ويقول وهو ينقل اللبن.

هَـذا الحِّـمَـالُ لا حِمَـالُ خَـيْـبر ... هَـــذا أبَـــرُّ ربَّـــنـــا وأَطْـهـــر

الـلَّـهُـمّ إنَّ الأجْـرْ أَجْـرُ الآخِـرةْ ... فـأرحَـم الأنـصـار والمـهـاجـرةَ

فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لي. قال ابن شهاب: ولم يبلغنا -في الأحاديث- أن رسول الله ﷺ تمثل ببيت شعر تام غير هذه الأبيات[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «أقبل رسول ﷺ إلى المدينة وهو مردف أبا بكر، وأبو بكر شيخ يعرف ونبي الله ﷺ شاب لا يعرف، قال: فيلقى الرجل أبا بكر فيقول: من هذا الرجل الذي بين يديك؟ فيقول: «هذا الرجل يهديني السبيل قال: فيحسب الحاسب أنه إنما يعني الطريق، وإنما يعني سبيل الخير فالتفت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحقهم فقال: يا رسول الله هذا فارس قد لحق بنا فالتفت نبي الله ﷺ

---

(١) رواه البخاري (٧/ ٢٨١، ٢٨٢) مناقب الأنصار.

قال الحافظ: قوله «**يغدون**» أي يخرجون غدوة: «حتى يردهم» وفي رواية ابن سعد: فإذا أحرقتهم الشمس رجعوا إلى منازلهم. قوله: «**أوفى رجل من يهود**» أي طلع إلى مكان عال فأشرف منه. قوله: «**أطم**» وهو الحصن ويقال: لكل بناء من حجارة كالقصر. قوله:«**مبيضين**» أي عليهم الثياب البيض التي كساهم إياها الزبير أو طلحة، قوله: «**يزول بهم السراب**» أي يزول الشراب عن النظر بسبب عروضهم له. قوله: «**يا معشر العرب**» وفي رواية عبد الرحمن بن عويم «**يا بني قيلة**»، وهي الجدة الكبرى للأنصار، والدة الأوس والخزرج، وهي قيلة بنت كاهل بن عذرة. قوله: «**هذا جدكم**» أي حظكم وصاحب دولتكم الذي تتوقعونه. قوله: «وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول» وهذا هو المعتمد، وشذ من قال يوم الجمعة، وفي رواية موسى بن عقبة عن ابن شهاب «قدمها لهلال ربيع الأول» أي أول يوم فيه، باختصار من «الفتح» (٧/ ٢٨٦، ٢٨٧).

فقال: «اللهم اصرعه» فصرعه الفرس ثم قامت تحمحم فقال: يا نبي الله مرني بما شئت. فقال: فقف مكانك لا تتركن أحدًا يلحق بنا قال: فكان أول النهار جاهدًا على نبي الله ﷺ ، وكان آخر النهار مسلحة له، فنزل رسول الله ﷺ جانب الحرة ثم بعث إلى الأنصار فجاءوا إلى نبي الله ﷺ وأبو بكر فسلموا عليهما وقالوا: اركبا آمنين مطاعين فركب نبي الله ﷺ وأبو بكر وحفوا دونهما بالسلاح. فقيل في المدينة: جاء نبي الله. جاء نبي الله ﷺ فاشرفوا ينظرون ويقولون: جاء نبي الله فأقبل يسير حتى نزل جانب دار أبي أيوب فإنه ليحدث أهله إذا سمع عبدالله بن سلام وهو في نخلٍ لأهله يخترق لهم، فَعَجِل أن يضع الذي يخترق لهم فيها فجاء وهي معه فسمع من نبي الله ﷺ ثم رجع إلى أهله فقال نبي الله ﷺ : «أي بيوت أهلنا اقرب؟» فقال أبو أيوب: يا بني الله هذه داري وهذا بابي. قال: فانطلق فهي لنا مقيلا. قال: قوما على بركة الله.

فلما جاء نبي الله ﷺ جاء عبدالله بن سلام فقال: أشهد أنك رسول الله وأنك جئت بحق وقد علمت يهود أني سيدهم وابن سيدهم ، وأعلمهم وابن أعلمهم فادعهم فاسألهم عني قبل أن يعلموا أني قد اسلمت فإنهم إن يعلموا أني قد أسلمت قالوا فيَّ ما ليس في، فأرسل نبي الله ﷺ فأقبلوا فدخلوا عليه فقال لهم رسول الله ﷺ : «**يَا مَعشرَ اليهودِ وَيلكُم اتقُوا اللهَ فو الله الذِّي لاَ إِله إِلا هو إِنكُم لَتعلمُون أَنِّي رسولُ الله حَقًا وَإِني جئتكُم بحِق فَأسلمُوا**». قالوا: ما نعلمه – قالوا للنبي ﷺ – قالها: ثلاث مرار. قال: فأي رجل فيكم عبدالله بن سلام؟ قالوا: ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا. قال: «**أفرأيتم إن أسلم؟**» قالوا: حاشا لله ما كان ليسلم قال: «**أفرأيتم إن أسلم**». قالوا: حاشا لله ما كان ليسلم. قال: «**يا ابن سلام اخرج**

عليهم». فخرج فقال: يا معشر اليهود اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله، وأنه جاء بحق. فقالوا: كذبت، فأخرجهم رسول الله ﷺ (١).

ومن أحاديث الهجرة في «صحيح البخاري» كذلك ما رواه أنس عن أبي بكر رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ في الغار فرفعت رأسي فإذا أنا بأقدام القوم فقلت: يا نبي الله لو أن بعضهم طأطأ بصره رآنا قال: «**اسكت يا أبا بكر. اثنان الله ثالثهما**»(٢).

وقبل أن ننتقل إلى الفوائد والآثار الإيمانية نشير إلى حادثتين حدثتا في خلال الهجرة. روى الأولى البخاري في «صحيحه»، والثانية في الحاكم والطبراني.

روى البخاري عن البراء قال: ابتاع أبو بكر من عازب رحلًا فحملته معه. قال: فسأله عازب عن سير رسول الله ﷺ قال: أخذ علينا بالرصد، فخرجنا ليلًا فأحثثنا ليلتنا ويومنا حتى قام قائم الظهيرة، ثم رفعت لنا صخرة فأتيناها ولها شيء من

(١) رواه البخاري (٧/ ٢٩٤) مناقب الأنصار.

قال الحافظ: قوله: «**مردف**» يحتمل أنه مردف خلفه على راحلته، ويحتمل أن يكون على راحلة آخرى، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩] أي يتلو بعضهم بعضًا. قوله: «**وأبو بكر شيخ**» يريد أنه قد شاب. وقوله: «**يعرف**» أي لأنه كان يمر على أهل المدينة في سفر التجارة بخلاف النبي ﷺ في الآمرين، فإنه كان بعيد العهد بالسفر من مكة، ولم يشب، وإلا ففي نفس الأمر كان هو عليه الصلاة والسلام أسن من أبي بكر ثبت في صحيح مسلم عن معاوية أنه عاش ثلاثًا وستين سنة وكان قد عاش بعد النبي ﷺ سنتين وأشهرًا، فيلزم على الصحيح في سن أبي بكر يكون أصغر من النبي ﷺ بأكثر من سنتين. قوله: «**يهديني السبيل**» بين سبب ذلك ابن سعد في رواية له: «أن النبي ﷺ قال لأبي بكر أله الناس عني فكان إذا سئل من أنت؟ قال: باغي حاجة، فإذا قيل من معك؟ قال: هادٍ يهديني» يريد الهداية في الدين ويحسبه الآخر دليلًا. قوله: «فإنه ليحدث أهله» الضمير للنبي ﷺ.

قوله: «**فجاء وهي معه**» أي الثمرة التي اجتناها.

قوله: «**فسمع من نبي الله ﷺ ثم رجع إلى أهله**» وقع عند أحمد والترمذي وصححه هو والحاكم من طريق زرارة بن أوفى عن عبدالله بن سلام قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس إليه، فجئت في الناس لأنظر إليه، فلما استبنت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب.

قوله: «**فهيىء لنا مقيلا**» أي مكانًا نقم فيه القيلولة.

(٢) رواه البخاري (٧/ ٣٠٢) مناقب الأنصار.

ظل . قال: ففرشت لرسول الله ﷺ فروة معي، ثم اضطجع عليها النبي ﷺ ، فانطلقت أنفض ما حوله، فإذا أنا براعٍ قد أقبل في غنمه يريد من الصخرة مثل الذي أردنا، فسألته، لمن أنت يا غلام؟ فقال:أنا لفلان. فقلت له: هل في غنمك من لبن؟ قال: نعم فقلت له: هل أنت حالب؟ قال: نعم. فأخذ شاة من غنمه، فقلت له: انفض الضرع. قال: فحلب كثبة من اللبن حتى برد أسفله، ثم أتيت به النبي ﷺ فقلت: أشرب يا رسول الله، فشرب رسول الله ﷺ حتى رضيت، ثم ارتحلنا والطلب في إثرنا[١].

وعن قيس بن النعمان قال: لما انطلق رسول الله ﷺ وأبو بكر مستخفيان نزلا بأبي معبد. فقال: والله ما لنا شاة، وإن شاءنا لحوامل فما بقى لنا لبن فقال رسول الله ﷺ أحسبه: **فما تلك الشاة؟** فأتى بها فدعا رسول الله ﷺ بالبركة عليها ثم حلب عُسًا فسقاه، ثم شربوا فقال: أنت الذي تزعم أنك صابئ قال: إنهم يقولون. قال: أشهد أن ما جئت به حق قال: أتبعك قال: لا حتى تسمع أنا قد ظهرنا فاتبعه بعد[٢].

---

(١) رواه الحافظ (٧/ ٣٠٠) مناقب الأنصار.

قال الحافظ: قوله: «**ففرشت لرسول الله ﷺ فروة**» فسرها صاحب «النهاية» بأنها الأرض اليابسة. وقيل: اللباس المعروف: وهذا هو الراجح بل هو الظاهر.

قوله: «**قد روأتها**» أي تأنيت بها حتى صلحت، تقول «روأت في الأمر إذا نظرت فيه ولم تعجل» باختصار من «الفتح» (٧/ ٣٠١).

(٢) قال الهيثمي: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح (٦/ ٥٨). «مجمع الزوائد».

وله شاهد عند الحاكم (٣/ ١٠،٩) من حديث هشام بن حبيش بن خويلد صاحب رسول الله ﷺ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ويستدل على صحته وصدق رواته بدلائل **فمنها**: نزول المصطفى ﷺ بالخيمتين متواتر في أخبار صحيحة ذوات عدد **ومنها**: أن الذين ساقوا الحديث على وجهه أهل الخيمتين من الأعاريب الذين لا يهتمون بوضع الأحاديث والزيادة والنقصان، وقد أخذوه لفظًا بعد لفظ عن أبي معبد وأم معبد ومنها أن له أسانيد كالأخذ باليد أخذ الولد عن أبيه والأب عن جده لا إرسال ولا وهن في الرواة **ومنها**: أن الحر بن الصباح النخعي أخذه عن أبي معبد كما أخذه ولده عنه. وحسنه محقق «زاد المعاد» (٣/ ٥٧) وقال الألباني: للحديث طريقين آخرين أوردهما الحافظ بن كثير في البداية (٣/ ١٩٢، ١٩٤) فالحديث بهذه الطرق لا ينزل عن رتبة الحسن، والله أعلم.

ونختم قصة الهجرة بهذه الأبيات الطيبة التي قالها أبو قيس صرمة الأنصاري:

ثَوَى فِي قُرَيش بِضعَ عَشرةَ حَجةً ... يَذكرُ لَو يَلقَى حَبيبًا مُوَاتيًا
ويَعرضُ فِي أَهلِ المَوَاسِمِ نَفسَه ... فَلَمْ يرَ مَنْ يؤوِي وَلم يرد داعيًا
فَلَما أَتَانَا وَاستقرتْ بِه النِّوى ... وَأَصبحَ مَسرورًا بِطيبة راضيًا
وَأَصبحَ لاَ يَخشَى ظلامة ظَالمَ ... بَعِيدَ ولا يَخشَ مِنْ النَّاس بَاغيًا
بذَلنَا لَهُ الأَموَالِ مِنْ حِلِّ مالِنَا ... وَأَنفسُنَا عَندَ الوَغَى وَالتَّآسَيا
نُعَادِي الذِّي عَادَى مِنْ النَّاسِ كُلِّهم ... جَميعًا وَإِنْ كَانَ الحَّبِيبُ المُصافَيَا
وَنَعلَمُ أَنَّ اللهَ لاَ ربَ غَيرِه ... وَأَنْ كِتَابَ اللهُ أَصبحَ هَاديًا[1]

الفوائد والآثار الإيمانية:

١- قَالَ اللهُ تَعَالَى في ذكر الهجرة: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

قال الغزالي: والجنود التي يخذل بها الباطل، وينصر بها الحق ليست مقصورة على نوع معين من السلاح ولا صورة خاصة من الخوارق، إنها أعم من أن تكون مادية أو معنوية، وإذا كانت مادية فإن خطره لا يتمثل في فخامتها، فقد تفتك جرثومة لا تراها العين بجيش ذي لجب ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]. ومن صُنع الله لنبيه أن تعمى عنه عيون عداته وهو منهم على مد الطرف، ولم يكن ذلك مُحاباة من القدر لقوم فرطوا في أسباب النجاة، بل هو مكافأة القدر لقوم لم يدعوا وسيلة من وسائل الحذر إلا اتخذوها. وكم من خطة يضعها أصحابها فيبلغون بها نهاية الإتقان تمر بها فترات عصيبة لأمور

(١) «سيرة ابن هشام» (١/ ٥١٢)، و«زاد المعاد» (٣/ ٦٠).

فوق الإرادة أو وراء الحسبان ثم تستقر أخيرًا وفق مقتضيات الحكمة العليا وفي حدود قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

٢- **وقال القاسمي:** قال بعض مفسري الزيدية: استدل على عظيم محل أبي بكر من هذه الآية من وجوه: قوله تعالى: ﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ﴾ [التوبة: ٤٠].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

وقوله: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾ [التوبة: ٤٠]، قيل: على أبي بكر عن أبي علي والأصم.

قال أبو علي: لأنه الخائف المحتاج إلى الأمن. وقيل: على الرسول ﷺ عن الزجاج وأبي مسلم. قال جار الله: من أنكر صحبة لأبي بكر فقد كفر، لأنه رد كتاب الله تعالى[١].

٣- **وقال الدكتور مصطفى السباعي في الدروس والعظات:** إن الجندي الصادق المخلص لدعوة الإصلاح يفدي قائده بحياته ففي سلامة القائد سلامة للدعوة وفي هلاكه خذلانها ووهنها، فما فعله علي رضي الله عنه ليلة الهجرة في بياته على فراش الرسول ﷺ تضحية بحياته في سبيل الإبقاء على حياة رسول الله ﷺ، إذ كان من المحتمل أن تهوى سيوف فتيان قريش على رأس علي رضي الله عنه انتقامًا منه، لأنه سهل لرسول الله ﷺ النجاة، ولكن عليًا رضي الله عنه لم يبال بذلك فحسبه أن يسلم رسول الله ﷺ نبي الأمة وقائد الدعوة[٢].

٤- **وقال أيضًا:** عمى أبصار المشركين عن رؤية رسول الله ﷺ وصاحبه في غار «ثور» وهم عنده، وفيما تحكيه لنا الروايات من نسيج العنكبوت وتفريخ الطير[٣]

---

(١) «محاسن التأويل» (٨/ ٢١٨).

(٢) «السيرة النبوية» دروس وعبر (٦٧، ٦٨).

(٣) يكفي في ذلك ما رواه أنس عن أبي بكر رضي الله عنه قال: «كنت مع النبي ﷺ في الغار فرفعت رأسي فإذا أنا بأقدام القوم، فقلت: يا نبي الله لو أن بعضهم طأطأ بصره رآنا قال: «**اسكت يا أبا بكر، اثنان الله ثالثهما**» تقدم تخريجه. وقد ضعف العلامة الألباني: نسج العنكبوت وتفريخ الطير.

على فم الغار مثل تخشع القلوب من أمثلة العناية الإلهية برسله ودعاته وأحبابه فما كان الله في رحمته لعبادة ليسمح أن يقع رسول الله في قبضة المشركين فيقبضوا عليه وعلى دعوته، وهو الذي أرسله رحمة للعالمين، وكذلك يعود الله عباده الدعاة المخلصين أنه يلطف بهم في ساعات الشدة، وينقذهم من المآزق والغدر، وليس في نجاة الرسول وصاحبه بعد أن أحاط بعد أن أحاط بهما المشركون في غار ثور إلا تصديق قوله الله تبارك وتعالى:﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١]. وقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: ٣٨][(١)] .

٥- **وقال الأستاذ منير الغضبان:** فبالرغم من أن السرية التامة كانت على الجميع حتى من العصبة المسلمة ما عدا من اشترك فيها: عائشة وأسماء وأبو بكر وابن أريقط، وابن فهيرة ورسول الله ﷺ ؛ مع هذا كله تكشف جانب من الخطة كان فوق التقدير البشري، فتلقاه رسول الله ﷺ بالتسليم المطلق: «**لا تحزن إن الله معنا. ما قولك في اثنين الله ثالثهما**». وما أحرانا نحن وقد شهدنا عبقرية التخطيط للهجرة أن لا تغيب عنا هذه الجوانب الثلاثة:

أولًا- علينا أن نستفرغ الوسع ونبذل كل الطاقة في التخطيط البشري.

ثانيًا- أن يكون اتكالنا على الله تعالى دون اعتمادنا على الأسباب.

ثالثًا- أن نقبل قضاء الله وقدره فيما هو فوق طاقتنا، ونطمئن إلى أنه خير للإسلام والمسلمين[(٢)].

٦- **وقال كذلك:** إنه حين ينتهي الجهد البشري المطلوب، وحين تستنفذ الطاقة البشرية، فالله تعالى أرحم بنبيه وصاحبه من أن يجعلهما ظفرًا لعدوهما، ولقد قرر الله تعالى في محكم التنزيل هذا المعنى، إذ أكد حمايته لنبيه ونصره له حين تخلت عنه قوة الأرض،

(١) السابق: [٧١].

(٢) «المنهج الحركي للسيرة النبوية» (١/ ١٩٨، ١٩٩).

وحين كان المسلمون كلهم كقوة بشرية قائمة في المدينة أو مختفية في مكة ليس معه للحماية إلا إنسان واحد: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٤٠].

فقوة الأرض كلها بعيدة عن النبي ﷺ؛ المؤمنون والكافرون، ووصل إلى قبضة الطاغوت، وأكد رسول الله ﷺ لصاحبه: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠].

والدعاة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ بحاجة دائمًا إلى أن تكون راسخًا في أعماقهم دائمًا عون الله لهم حين تعجز قوتهم البشرية عن إدراك ما يخطط لهم العدو بعد استنفاد الطاقة واستفراغ الوسع، وأن تكون لديهم القناعة التامة كذلك أن النصر أولًا وأخيرًا بيد الله(١).

٧- **قال الغزالي ما ملخصه:** إن أسفار الصحراء توهي العمالقة الآمنين، فكيف بركب مهدر الدم؟ مستباح الحق. ما يحس هذه المتاعب إلا من صلى نارها.

وللعرب طاقة على احتمال هذا الشظف مع قلة الزاد والري، وقد مر بك أن الرسول ﷺ وهو طفل قطع هذا الطريق ذهب مع أمه لزيارة قبر أبيه ثم عاد وحده. وإنه الآن ليقطعها وقد بلغ الثلاثة والخمسين، لا لزيارة أبويه الذين ماتا بالمدينة، بل لرعاية رسالته التي تشبثت بأرض يثرب جذورها بعد أن تبرمت مكة وبصاحبها وممن حوله. إنه أرسخ أهل الأرض يقينًا بأن الله ناصره ومظهر دينه بيد أنه أسف للفظاظة التي قوبل بها، وللجحود الذي لاحقه من بدء رسالته حتى اضطره إلى الهجرة على هذا النحو العنيف ها هو ذا يخرج من مكة مهاجرًا إلى الله(٢).

---

(١) السابق (١/ ١٩٣).

(٢) «فقه السيرة» للغزالي (١٧٢، ١٧٩) باختصار.

٨- **وقال كذلك:** لا نعرف بشرًا أحق بنصر الله وأجدر بتأييده مثل الرسول ﷺ الذي لاقى في جنب الله ما لاقى، ومع ذلك فإن استحقاق التأييد الأعلى لا يعني التفريط قيد أنملة في استجماع أسبابه وتوفير وسائله، ومن ثم فإن رسول الله ﷺ أحكم خطة هجرته وأعد لكل فرض عدته، ولم يدع في حسبانه مكانًا للحظوظ العمياء.

وشأن المؤمن مع الأسباب المعتادة أن يقوم بها كأنها كل شيء في النجاح، ثم يتوكل بعد ذلك على الله لأن كل شيء لا قيام له إلا بالله. فإذا استفرغ المرء جهوده في أداء واجبة فأخفق بعد ذلك فإن الله لا يلومه على هزيمة بلى بها، وقلما يحدث ذلك إلا عن قدر قاهر يعذر المرء فيه، وكثيرًا ما يرتب الإنسان مقدمات النصر ترتيبًا حسنًا، ثم يجيء عون أعلى يجعل هذا النصر مضاعف الثمار. كالسفينة التي يشق عباب الماء بها ربان ماهر، فإذا التيار يساعدها والريح تهب إلى وجهتها، فلا تمكث غير بعيد حتى تنتهي إلى غايتها في أقصر من وقتها المقرر. وهجرة رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة جرت على هذا الغرار[(١)].

٩- **وقال الشيخ الخضري** رحمه الله: وبهذه الهجرة تمت لرسولنا ﷺ سنة إخوانه من الأنبياء من قبلة فما من نبي منهم إلا نبت به بلاد نشأته فهاجر عنها، من إبراهيم أبي الأنبياء وخليل الله إلى عيسى كلمة الله وروحه، كلهم على عظيم درجاتهم ورفعة مقامهم أهينوا من عشائرهم فصبروا ليكونوا مثالًا لما يأتي بعدهم من متبعيهم في الثبات والصبر على المكاره ما دام ذلك في ذات الله[(٢)].

قلت: ولذلك قال له ورقة «ليتني فيها جزعًا إذ يخرجك قومك»[(٣)].

---

(١) السابق [١٧١].

(٢) «نور اليقين» صفحة [٧٤].

(٣) تقدم تخريجه.

و قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ﴾ [إبراهيم: ١٣].

١٠- **قال الغزالي:** يا عجبًا لنقائض الحياة واختلاف الناس، إن الذي شهرت مكة سلاحها لتقتله ولم ترجع عنه إلا مقهورة استقبلته المدينة وهي جزلانه طروب، وتنافس رجالها يعرضون عليه المنعة والعدة والعدد[١].

١١- **وقال محمد سعيد رمضان:** قد يخطر في بال المسلم أن يقرن بين هجرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهجرة النبي عليه الصلاة والسلام، **ويتساءل:** لماذا هاجر عمر علانية متحديًا المشركين دون أي خوف ووجل، على حين هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفيًا محتاطًا لنفسه، أيكون عمر بن الخطاب أشد جرأة من النبي صلى الله عليه وسلم ؟ **والجواب:** أن عمر بن الخطاب أو أي مسلم آخر غير رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتبر تصرفه شخصيًا لا حجة تشريعية فيه فله أن يتخير من الطرق والوسائل والأساليب ما يحلو له، وما يتفق مع قوة جرأته وإيمانه بالله تعالى.

أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مُشرِّع، أي أن جميع تصرفاته المتعلقة بالدين تعتبر تشريعًا لنا، ولذلك كانت سنته هي المصدر الثاني من مصادر التشريع مجموع أقواله وأفعاله وصفاته وتقريره، فلو أنه فعل كما فعل عمر لحسب الناس أن هذا هو الواجب، وأنه لا يجوز أخذ الحيطة والحذر والتخفي عند الخوف، مع أن الله عزَّ وَجَلَّ أقام شريعته في هذه الدنيا على مقتضى الأسباب ومسبباتها، وإن كان الواقع الذي لا شك فيه أن ذلك بتسبب الله تعالى وإرادته، لأجل ذلك، استعمل الرسول صلى الله عليه وسلم كل الأسباب والوسائل المادية التي يهتدي إليها العقل البشرى في مثل هذا العمل حتى لم يترك وسيلة من هذه الوسائل إلا اعتد بها واستعملها، فترك علي بن أبي طالب ينام في فراشه ويتغطى ببرده، واستعان بأحد المشركين -بعد أن أمَّنه- ليدله على الطرق الفرعية التي قد لا تخطر في

(١) «فقه السيرة» للغزالي [١٨٣].

بال الأعداء، وأقام في الغار ثلاثة أيام متخفيًا إلى آخر ما عبأه من الاحتياطات المادية التي يفكر بها العقل، ليوضح بذلك أن الإيمان بالله عَزَّ وَجَلَّ لا ينافى استعمال الأسباب المادية التي أرادت حكمة الله عَزَّ وَجَلَّ أن تكون أسبابًا[١].

١٢- **وقال أيضًا:** وتكشف لنا الصورة التي استقبلت بها المدينة المنورة رسول الله ﷺ عن مدى المحبة الشديدة التي كانت تفيض بها أفئدة الأنصار من أهل المدينة رجالًا ونساءً وأطفالًا، لقد كانوا يخرجون كل يوم إلى ظاهر المدينة ينتظرون تحت لفح الشمس وصول رسول الله ﷺ إليهم حتى إذا هبَّ النهار ليدبر عادوا أدراجهم ليعودوا إلى الانتظار صباح اليوم التالي، فلما طلع الرسول ﷺ عليهم جاشت العواطف في صدورهم، وانطلقت ألسنتهم تهتف بالقصائد والأهازيج فرحًا لمرآه ﷺ ومقدمه عليهم، ولقد بادلهم رسول الله ﷺ نفس المحبة حتى إنه جعل ينظر إلى ولائد بني النجار من حوله وهم ينشدن ويتغنين بمقدمه قائلًا: أتحببننى؟ والله إن قلبي ليحبكن[٢].

١٣- **وقال العلامة محب الدين الخطيب:** لو أننا فهمنا الحكمة التي انطوت عليها حادثة الهجرة، وعلمنا أن كتاب الله الذي نتلوه قد أنحى باللائمة على جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا في مكة يصلون ويصومون، ولكنهم ارتضوا البقاء تحت جناح أنظمة تخالف الإسلام، فلا قوة لهم على تغييرها، ولم يهاجروا إلى قلعة الإسلام ليكونوا من جنوده المتحفزين لتغيير تلك الأنظمة، لعلمنا أن الإسلام لا يكتفي من أهله بالصلاة والصوم، بل يريد منهم مع ذلك أن يقيموا أنظمته وآدابه في بيوتهم وأسواقهم وأنديتهم، ومجامعهم ودواوين حكمهم. وأن عليهم أن يتوسلوا بجميع الوسائل لتحقيق هذا الغرض الإسلامي بادئين به من البيت وملاحظين ذلك في تربية من تحت أمانتهم من بنات وبنين، ومتعاونين عليه مع من ينشد للإسلام الرفعة والإزدهار من إخوانهم، حتى إذا عم هذا الإصلاح أرجاء

(١) «فقه السيرة» للبوطي (١٤٤، ١٤٥) باختصار.
(٢) السابق [١٤٧].

واسعة، تلاشت تحت أشعته ظلمات الباطل، فكان لهذا الأسلوب من أساليب الهجرة مثل الآثار التي كانت لهجرة النبي ﷺ وأصحابه الأولين.

روى مسلم في كتاب الإمارة من «صحيحه» عن أبي عثمان النهدي أن مجاشع بن مسعود السلمي قال: جئت بأخي «أبي معبد» إلى رسول الله ﷺ بعد الفتح فقلت: يا رسول الله بايعه على الهجرة فقال ﷺ: «**قَد مَضتْ الهجرةُ بِأَهلِهَا**»، قال مجاشع: فبأي شيء تبايعه؟ قال: «**عَلى الإِسلَامِ والجَهَادِ وَالخَير**». قال أبو عثمان النهدي: فلقيت أبا معبد فأخبرته بقول مجاشع فقال: صدق[(١)].

وفي كتب السنة وبعضه في «الصحيحين» عن عبد الله بن عمرو بن العاص وفضالة بن عبيد بن ناقد الأنصاري أن النبي ﷺ قال: «**المُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ السَّيئَاتِ**»[(٢)]. فإلى الهجرة أيها المسلمون، إلى هجر الخطايا والذنوب.

إلى هجر ما يخالف أنظمة الإسلام في بيوتنا، وما نقوم به من أعمالنا، إلى هجر الضعف والبطالة والإهمال والترف والكذب والرياء ووضع الأشياء في غير موضعها[(٣)].

١٤- ***وقال الدكتور محمد أبو فارس:*** إن الهجرة أهم حدث في تاريخ الدعوة الإسلامية، إذ بالهجرة تكون الكيان السياسي للأمة الإسلامية لنشر الإسلام والدفاع عن حرماته. ولأهميتها كان التأريخ بالهجرة ولم يكن بغيرها من الأحداث الهامة كالميلاد والبعثة أو وقعة بدر أو ما شابهه. ولم يؤرخ المسلمون بتأريخ غيرهم حفاظًا على استقلالية الأمة وتميزها.

تعلمنا الهجرة كيف أن على الدعاة أن يبحثوا دائمًا عن أماكن خصبة للدعوة تكون مركز انطلاق ونواة تأسيس[(٤)].

(١) رواه مسلم (١٣/ ٧) الإمارة.

(٢) رواه البخاري (١/ ٦٩) الإيمان، ومسلم (٢/ ١٠) الإيمان، وأبو داود [٢٤٦٤] الجهاد، والنسائي (٨/ ١٠٥) الإيمان.

(٣) باختصار من «الهامات الهجرة» (١١، ١٤)، المطبعة السلفية ومكتبتها.

(٤) «في ظلال السيرة النبوية» نقلًا عن الأساس في «السنة» لسعيد حوى (١/ ٣٥٨).